هذا عينه . ونزيد ايضاً ان المناشير المذكورة تكون مثبتة بالسلطان الممنوح لنا من الله وبكل قوة تثبيتنا الرسولي وان كان يحتاج فنوصي ونأمر بانها تُحسب معجزة منّا كأننا حرّرناها جديداً . فلا يتجاسر اذاً احد على ان يثلم او يخالف امر منشور تثبيتنا هذا والّا فليعلم انهُ سيحلّ عليهِ غضب الله القادر على كل شيء ودجز رسوليهِ الطوباويين بطرس وبولس

حُرر في رومية عند كنيسة القديسة مريم المعروفة بالكبرى في ٢ كانون الثاني سنة ١٧٦٥ للتجسد الالهي وهي السنة السابعة من حبريتنا

طُبع بمطبعة اللاك روتيلي بايطاليا مديسيس

المشاعر في الحيوانات

نظرُ للاب اسكندر طوران اليسوعي

قد منح الله الانسان خمس حواسٍ كوسط بينهُ وبين عالم الكون . فانها لعمري هبة عظيمة اجاد بها الخالق على مخلوقهِ كفى بياناً لذلك اعتبار الأجهزة التي بواسطتها ينجز افعال تلك الحواسّ كالعين والاذن واللسان فانّ كلّ من يمن فيها النظر لا يتمالك عن الاقرار بفضل خالقها ونبذ رأي الماديين الذين لا يستطيعون ان يعللوا تلك العجائب الّا بنسبتها الى قوّة عمياء يدعونها الطبيعة او الصدفة

وربَّ سائلٍ يسأل أتوجد هذه المشاعر الخمسة في الحيوانات كما توجد في الانسان ؟ او تكون في كلّ ضروب الحيوان ذوات الاربع والزحّافات والطيور والحشرات ؟ الجواب على هذا السؤال قريب لكلّ من خالط الحيوانات مخالطةً ما . فانّ اختبارنا الشخصي يثبت لنا وجود الحواسّ في البهائم كما في الانسان فانّ الفرس مثلاً يرى ويسمع ويشمّ الروائح ويلتذّ بمؤانسة صاحبهِ اذا ملّقهُ بيدهِ ويتألّم بضربة مهمازهِ اذا ركّلَ بهِ صدرهُ كما انّهُ يستطعم في مخلاتهِ القوت الذي يفضلهُ على سواهُ . فلا ينقصهُ اذن شيء من حواسّ الانسان الخمس بتمامها

وما يصدق في الفرس يصحّ في ايّ حيوان كان حتى اصغر الهوامّ . هذه حشرة

وتستتر تحت الحجارة فاذا زالت عنها سترها و مرضتها للنور حاولت ان تغور في الارض او تختفي تحت الاوراق . فاذا انفذت في بدنها دبوساً تلمّت واضطربت وكلّ ذلك دليل على الحسّ والشعور . وهذه ذبابة يتتابع صغارها من السماد فاذا ألقي كمّية جديدة منهُ تطايرت من ساعتها اليهِ حتى من امكنة بعيدة . فتلك بلبنة على حاسّة شمّها وان وجدت الذبابة في ذاك السماد ما تلذّها رائحتهُ على خلاف مشاعرنا — وهذه النحلة تجني من الزهور ما يوافقها لعملها وتمتصّ بينها ما تجد فيهِ حلاوة لاستحضار عسلها . فلا شكّ انّ لها ذوقاً تستطعم بهِ قوتها . ويزعم المربّون للنحل انّ الحشرم المنفصل عن الخليّة يحطّ في مكان معلوم اذا سمعوهُ اصواتاً مزعجة توهمهُ بصوت الرعد او الصاعقة وهذا الزعم يثبت انّ للحشرات حاسّة السمع

ومن ثمّ يجوز لنا القول اجمالاً بانّ للحيوانات حواسّ كما للانسان وان لم نستطع ان نثبت الامر الكل صنفٍ منها ونميّز اجهزة تلك الحواسّ في الحشرات ودقائق الحيوان

وكأني بالقارئ يوقفني هنا ليُلقي عليَّ سؤالين : الاوّل أليس لبعض الحيوان كذوات الفقرات مثلاً حواسّ افضل وادقّ من حواسّ الانسان ؟ والثاني اليس لبعض الحيوان مشاعر غريزيّة خُصّ بها دون الانسان تفيدهُ لبلوغ غايتهِ وتغنيهِ نوعاً عن الفوائد التي يحصل عليها الانسان بقوى عقلهِ ؟ فان تحقّق الامران اعني وجود مشاعر في الحيوان افضل واكمل من الانسان ثمّ وجود حواسّ لم يُعطَها الانسان سقط مذهب النشوء والتحوّل اذ يزعم الدروينيّون انّ طبقات الحيوان العليا ورثت من الطبقات السفلى حواسّها فبلغت كمالها بتحسّن الاجناس وترقّي سلسلة الاحياء

أ (الجواب على السؤال الاوّل) لا بُدّ من القول بانّ الحواسّ في بعض الحيوانات تفوق حواسّ البشر بكمالها ودقّتها — لنا على ذلك ادلّة لا تُحصى . انظر الكلب مثلاً فانهُ بحاسّة شمّهِ يكتشف ما لا يكتشفهُ الانسان فاذا سار معهُ للصيد استروح الفريسة عن بُعد واذا نُصب للحراسة افرز رائحة صاحبهِ من رائحة الغريب وان اتخذهُ صاحبهُ لجمع الكمأة نبشها واثارها من قاب الارض . فلا احد ينكر انّ مشعر الشمّ في الكلب ادقّ وافضل منهُ في الانسان ولو كان الانسان يبلغ في ذلك مبلغ الكلب لاستغنى عنهُ في الحراسة والصيد

وهذه حاسة الشم الفاضحة تجدها في كثير من الحيوانات في الثعالب مثلاً وبنات آوى والضباع فانَّ هذه الحيوانات تشمُّ عن بُعد رائحة الانسان فتهرب منهُ واذا اراد الانسان ان ينصب لها اشراكاً ليصيدها او يسمها يجب عليهِ أن لا يمسَّ بيديهِ تلك الطعوم المسمومة والاشراك المنصوبة لانَّ الحيوانات اذا شمَّت رائحة يد الانسان نفرت منها

وكذلك جوارح الطيور كالنسور والعقبان فانَّها تشمُّ رائحة الجثث الميتة من مسافات بعيدة فتجتمع وتحوم فوقها

ومما قلناهُ عن حاسة الشم يصحُّ ايضاً في حاسة البصر. فانَّ الاختبار اليومي يثبت فضل بصر الحيوان على بصر الانسان. ويدلُّ على ذلك عدَّة امثال عند العرب كقولهم « ابصر من عُقاب » و « ابصر من فرس في بهماء » ويضرب الفرنج المثل في بصر الفهد (lynx) فيقولون: « لفلان عيون كعيون الفهد » لزعمهم قديماً بانَّ الفهد يرى من وراء الحيطان

امَّا العقبان والنسور فانك تراها في اعالي الجوِّ ترصد السهول والاودية حتى اذا عاينت في اعماقها او بين دغلها حيواناً يؤكل كأرنب او فرّوج مما لا يراهُ الانسان الَّا عن كثب انقضَّت عليهِ كالبرق فخطفتهُ لا محالة

وكثير من الطيور التي يبتغي الانسان صيدها تنجو منهُ بدقَّة بصرها فتفرُّ منهُ ولو تستَّر وراء سياج او في فترة كالوز البرّيّ والبط والحجل

وخلاصة الكلام لا بدَّ من الاقرار بانَّ حيوانات كثيرة تفضل الانسان بكمال حواسِّها. وان امكن الانسان باختراع ادوات شتَّى كالنظَّارات والمجاهر ان يسدَّ ذلك الخلل الَّا انهُ لم ينل ذلك من الطبيعة كالحيوانات وهذا ما اوردنا بيانهُ

٢ (الجواب على السؤال الثاني) اعني أحظيت الحيوانات ببعض الحواس التي لم يناها الانسان ؟ نعم ودونك البراهين على قولنا:

من المعلوم انَّ الانسان لا يهتدي الى المكان الَّا بالاختبار المتوالي. امَّا الحيوان فقد خُصَّ بتمييز الامكنة. هذا الحمام الزاجل تراهُ يرحل الى بلاد بعيدة ويعود الى وكرهِ لا يشذُّ عنهُ مطلقاً. هذه النحلة تخرج من خليَّتها لتجني الزهور وربَّما ابتعدت عنها الى مسافة خمسة كيلومترات وهي لا تتيهُ عنها. ومثلها طيور وهوامّ عديدة مهما نزحت عن

عشوشها تعود اليها ولا تغلط البتة في معرفة منافذها الصغيرة. كذلك السمانى والسارى والقطاة وكلها تعشش في وسط القمح في سهول تغطيها الفلات النامية حيث لا يوجد دليل تستدلُّ به على مكان عشها. وكذا الزنبور وهوام عديدة تعشش في بطن الارض بين الدغل والاشواك المشتبكة بعضها او في براري واسعة لا شيء يميز اقسامها. ومع كلّ ذلك لا تجد طائرًا واحدًا او زنبورًا او هامة تضلّ عن اوكارها بل تنقل طعمها راجعةً بكل ضبط وتدقيق. فليت شعري اليست هذه هداية نالها الحيوان من الطبيعة دون الانسان يمكننا ان ندعوها بشعر الامكنة (sens topographique)

انظر يا رعاك الله كيف الانسان اذا خرج قليلًا عن المسالك المطروقة لا يعود يستدلّ على طريقه فيحتاج الى استشارة معارفه الجغرافيّة بان ينظر الى الافق والى اربعة خوافق السماء ومشرق الشمس ومغربها او الى بعض النجوم ليلًا وكل ذلك مرجعهُ الى العقل حتى انهُ لو حُجب عنهُ السماء بالغيوم والتقى في غابة واسعة تاه لا محالة

اما الطيور التي لا علم لها بالفلك ولا تعلم غير طريق الهواء حيث لا شيء ينبه ذاكرتها فانها لا تنقل البتّة عن مآويها مهما اختلفت عليها احوال الجوّ. فكيف يا ترى تعرف طريق عشوشها؟ اليس هنا سرّ عجيب؟

أنقل الحمام الزاجل من بيروت حيث بُني برجهُ الى بغداد او الى اي جهة شئت من الشمال والجنوب من الغرب او الشرق وضعهُ في قفص او في سلّ وانقلهُ نهارًا او ليلًا ثمّ اطلق سراحهُ تراهُ يحلّق في الجوّ فيحوم قليلًا ليستروح طريقهُ الجويّة ولا يلبث ان يتوجّه توًّا الى حيث برجهُ فيأتيهُ بالخطّ المستقيم ويحط فيهِ بلا شذوذ

وكذلك يقال عن حيوانات أخرى داجنة كالكلب والهرّ وغيرهما قيل انها تُنقل بعيدًا عن مساكنها التي أَلفتها في كيس او صندوق ثم تُترك الى سبيلها فتنقل راجعةً الى بيوتها من تلقاء ذاتها سائرة في طريق لم تعهدها قط

وقد اخبر السير فابر العلّامة الذي ذكرنا مرارًا دروسهُ عن الحشرات انهُ نقل يومًا مبيتهُ الى مسافة نحو ١٢ كيلومترًا وكان عندهُ قطٌّ هرم جعلهُ في صندوق مع اثاث البيت فلما أُخرج من صندوقهِ في المكان الجديد أفلت منهم ورجع الى منزلهِ القديم في طرق لم يسلكها سابقًا

وكذلك روى السير فابر عينهُ انَّ نوعًا من الحشرات الشبيهة بالنحل يدعونها

خاليكودم (chalicodomes) جُعلت في عُلَب ونُقلت الى مسافات بعيدة عن امشاشها فما أطلقت لها الحريّة الّا وانقلبت راجعةً الى تلك الامشاش

فكيف يا تُرى يمكننا ان نعلّل هذه الاعمال ؟ أننسبها الى المشاعر الخمسة التي في الانسان كالبصر والشمّ والسمع ؟ كلّا لانّ هذه تعليلات لا تغني بالمرام ثمّ لا يجوز نسبة تلك الاعمال الى الذاكرة لأنّ الذاكرة تستند الى شهادة الحواسّ وفي ما رويناهُ لم تتوسّط الحواسّ لانّ الحيوانات التي ذكرناها كانت مودعة في صناديق مظلمة . فلا بُدّ اذن لشرح هذه الاسرار الطبيعية من تعليلها بسرّ آخر فنقول انّ للحيوان شعورًا خاصًّا يُعدّمهُ المركّبُ البشري حتى أن دروين لدى استنباطه هذه الامور كان يبقى مرتبكًا في تعليلها فيقول لعلّ الحيوان قد خُصّ بشعور مغناطيسيّ يرشدهُ في عمله . روى المسيو فابر رأي دروين وزاد عليهِ قولهُ : « انّ البحريّ اذا تاه في غمر البحار يسترشد بابرته المغناطيسيّة التي تتحرّك بقوّة المغناطيس الارضيّ . فان صحّ قول دروين كان الحيوان ابرةً مغناطيسيّة حيّة وخصّتهُ الطبيعة الغريزيّة بما أكتسبهُ الانسان بقوّة عقله »

ثمّ اردف المسيو فابر : « وعلى كلّ حال يجب علينا الاقرار بان الحيوان أعطي شعورًا خاصًّا غريبًا لا نستطيع ان نتحسّس كنههُ فهذا هو الشعر الذي يرشد الحمام الزاجل والخطّاف والقطّ وهامّة الخاليكودوم وغيرها ايضًا في سيرها وسط بلاد مجهولة منها . أهذه الحاسّة مغناطيسيّة او لا لستُ ادري ولا يمكنني القطع بهِ . ولاي سبب لم يُعطَ الانسان حاسّة كهذه ! فان كانت طبقات الحيوان باجمعها دون استثناء الانسان صادرةً من قالب واحد اي الخليّة الاصليّة كما يزعمون وان ثبت قولهم بان تلك الخليّة بتحوّلاتها المختلفة مدى الدهور لم تزل في تحسّن دائم بصيانة افضل العناصر ونفي أدونها فكيف يا تُرى قد خُصّت حيوانات ذليلة بشعر جليل كالذي وصفناهُ ولم نجد لذلك الشعر من اثر في الانسان وهو على زعمهم نتيجة تلك التحوّلات وبلغ ذروتها . فبئس ما فعل اسلافنا الاوّلون اذ اهملوا هذه الخلقة الشريفة التي هي افضل من قَمْرة في اسفل ظهرنا او من بعض شعرات على شفاهنا . فان كانت الوراثة ضائعة افليس الاحرى ان يقال انّهُ لا يوجد قرابة بين الحيوان غير الناطق والانسان الناطق ! » نعم القول الذي افحم بهِ المسيو فابر انصار دروين

نعم انَّ ذاك الشعر لعجيب في الحيوان ويكاد الانسان يحسدهُ عليهِ بل لا يجد طريقةً مقنعة لتعليلهِ. وقد ردَّ المسيو فابر على الذين نسبوا الامر الى ذاكرة الطائر او الحيوان بقولهِ: « لو فعل الطائر فعلهُ هذا من تلقاء ذاتهِ ومثلهُ الحيوانات السابق ذكرها لقلنا انهُ رجع أدراجهُ وتذكَّر الطريق التي جرى فيها ولكن كيف يقال انَّ الحمام الزاجل المودع في سلَّ منطَّى والمنقول الى بلاد بعيدة يذكر طريقاً لم يَرَهـا مطلقاً ؟ واين توسَّلهُ بذاكرتهِ اذا حاق في الجوّ وتبيَّن جهة بُرجهِ ثمَّ اندفع اليهـا لا يلوي يمنةً او يسرةً فيقطع في الهواء مسافات لم يعهدها قبلاً ؟. فالتعليل بالذاكرة لا يفيد هنا شيئاً . وقُل كذلك عن الحشرات المنبسطة الاجنحة المودعة في عُلَب والمنقولة الى امكنة نازحة. فيجب القول اذن بان هذه الحيوانات قد طُبعت على شعور خاصّ بالامكنة لا نستطيع ان نثبت كيفيَّتهُ

وقد اراد المسيو فابر ان يعدّد الامتحانات لعلَّهُ يقف على جواب مقنع في هذا الصدد. فرصد حشرةً تُدعى بمبكس (bembex) تنسل نسلهـا في بطن الارض فهذه الحشرة تُطعم صغارها ذباباً فتضطرّ الى الخروج من وكرها مراراً في النهـار لتصطاد قوت صغارها وهي كلَّما خرجت تستر باب وكرها بشيء من التراب او الرمل تردُّهما على مدخلهِ بقوائمها بحيث لم يبق اثرٌ من الخارج لمنفذ وكرها. ومع ذلك تراها اذا رجعت من صيدها لا تُخطئ باب الوكر ذرَّةً بل تحطّ عليهِ بكل دقَّة وتزيل ما وضعتهُ من التراب او الرمل فتدخل الى صغارها

وقد سعى المسيو فابر بان يخدع تلك الحشرة فتارةً كان يجعل فوق منفذ الوكر بلاطاً كبيراً وتارة كان يذرّ على ذاك المنفذ وجوارهِ طبقة من زبل الخيل. وحيناً كان يفرش فوقهُ اعشاباً يابسةً بعد ان يغمسها في روائح عطريَّة شديدة او في الاثير. ومرَّة اخرى وضع فوق ذاك الوكر ومنفذهِ حصًى مختلف الحجم والالوان على شبه الفسيفساء. لعلَّهُ بكل ذلك يحيّر تلك الحشرة ويُذهلها عن وكرها. ولكن خابت آمالهُ فكان المسيو فابر يلحظ انَّ الحشرة المذكورة عند رجوعها من الصيد لا تحيد البتَّة عن وكرها وتزيل بقوائمها السداد الذي سدَّتهُ بهِ . وفي هذهِ الامتحانات دليل قاطع على انَّ الحيوان لا يستدلّ بغير غريزتهِ دون الذاكرة اذ لو كان يستعين بالذاكرة لوجد هنا ما يضلّهُ بتلك المواد المركومة حول وكرهِ وبتلك الروائح التي وُضعت بعد

خروجه منه. فالنتيجة انّ في الحشرة المذكورة حاسّة تجهلها فتغلب على النظر وعلى الشمّ اعني مشعر المكان حيث وضعت عشّها

ومثل هذا غرابةً ما يُحكى عن احد علماء الطبيعة الايطاليين في القرن الثامن عشر يُدعى سپالانزاني (Spallanzani) اشتهر بمعارفه في العلوم الجيولوجيّة والطبيعيّات والتاريخ الطبيعي وبالاختبارات التي صنعها في الحيوانات ليطّلع على غرائزها وطباعها. ومن امتحاناته انّهُ كان مدَّ في معهد واسع حبالاً مشتبكة بعضها وعلّق في بعض جهاتها واطرافها اشراكاً ثمّ اخذ خفافيش فسمل عيونها وأطلقها في ذاك المعهد فوجد انّها كانت تطير من طرف الى آخر دون ان تصدم البتّة لا في الحبال ولا في الاشراك. فمن يا تُرى ارشد هذه الطيور العمياء الى الحياد عن الحبال وعن الاشراك؟ وما هذه الغريزة العجيبة فيها! (لهُ بقيّة)

مكتبة طائفتنا المارونيّة

في مدينة حلب المحميّة

حضرة الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

الصنف الخامس

في القوانين والمجامع

نمره ٢١١ زيارة الاسقف الصالح بخط كشرني وضعهُ البطرك سمعان عواد الحصروني. ومن هذا المؤلف عدّة نسخ عثرتُ عليها في اماكن مختلفة ولهذه النسخة مزيّة على غيرها منسوخة تحت نظر المؤلف وقدّم منها بخط يده مسنود الى العبارة الآتية: « نسخهُ الشدياق يوسف ابن مخايل عواد الحصروني وساعدهُ عمهُ المطران سمعان سنة ١٧٣٨ وإستقام ستة ايام على كتابته »

نمره ٢١٢ قوانين قديمة للتائبين: هذا الكتاب سرياني يعقوبي كما يظهر ممّا دوّن على اخر صفحة من قوانين ديونيسيوس بن صليبا انهُ نُسخ سنة ١٩٥٨ يونانية